العرب
الجمعة 2019/12/20
السنة 42 العدد 11564



# قمة كوالالمبور مسرحية الهدف منها تضليل العالم

## مهندس الإسلام السياسي يجمع حوله ثلاثة من أعتى الأنظمة الراعية للتطرف

قمة لإشعال الحرائق

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

لماذا اختار رئيس وزراء ماليزيا، مهاتير محمد، أن يتحدث عن الإسلاموفوبيا محملا دولا إسلامية مسؤولية تفاقم الظاهرة، بحضور الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، والرئيس الإيراني حسن روحاني، وأمير قطر الشيخ تميم بن حمد بن خليفة آل ثاني؟

ومن هي الدول الإسلامية التي تتحمل مسؤولية تفاقم الإسلاموفوبيا، أو تعمّد مهندس الإسلام السياسي، مهاتير محمد، عدم تسميتها؟

**من يشعل النار، لا يطفئها. والأنظمة الثلاثة هي من أشعل النار وتصنع البراءة، وتريد أن توهم الجميع، من خلال المشاركة، أنها جادة في إطفاء الحريق**

لنبدأ أولا بالتعريف بمهاتير محمد، البالغ من العمر 94 عاما، فهو من مواليد عام 1925، نشأ في ضاحية فقيرة، ضمن أسرة متواضعة المستوى ماديا واجتماعيا.

تفوّقه الدراسي سهّل له الحصول على منحة للالتحاق بمدرسة إنجليزية، ليلتحق بعدها بدراسة الطب. ولكن شغفه بالسياسة هو ما أوصله بعد رحلة طويلة تقلّب خلالها في مناصب عديدة، ليصبح رئيسا للوزراء في ماليزيا عام 1981.

طبيب في رئاسة الوزراء، هذا ما يمكن أن يوصف به مهاتير، وهذا ما اختاره ليكون عنوانا لكتاب من تأليفه، أصدره عام 2011.

أعظم إنجازاته كانت إستراتيجية الانتعاش الاقتصادي، التي طبّقها عقب الأزمة الاقتصادية الآسيوية في عام 1998. وخالف فيها آراء مستشاريه، رابطا سعر صرف عملة البلاد بالدولار الأميركي، وكانت هذه الخطوة الجريئة سببا في تعافي اقتصاد ماليزيا بنسق أسرع من الدول الآسيوية الأخرى.

حصل مهاتير على العديد من الجوائز والأوسمة المحلية والدولية، من ضمنها: جائزة جواهر لال نهرو للتفاهم الدولي عام 1994، وجائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام عام 1997. وفي عام 2007، تم ترشيحه لجائزة نوبل للسلام، لدوره في إعادة إعمار البوسنة والهرسك.

رجل مثل هذا لا يمكن أن يفتقد مقدرة التمييز، ولن تعوزه الوسائل لمعرفة ماذا يجري في العالم. إلا إذا كان التقدم في العمر هو السبب.

الدول التي تتحمل مسؤولية تفاقم ظاهرة الإسلاموفوبيا، هي دول ثلاث، كان رؤساؤها مجتمعين إلى مهاتير محمد عندما قال إن "أعمال الإرهاب سيئة السمعة" أدت إلى الخوف من الإسلام لدرجة تصل إلى الرهاب المرضي.

ملاحظات مهاتير تم توجيهها خلال قمة إسلامية عقدت في كوالالمبور، واختارت المملكة العربية السعودية عدم التوجه إليها. وفسرت قرارها بعدم الحضور بأن القمة ليست الساحة المناسبة لطرح القضايا التي تهمّ مسلمي العالم، البالغ عددهم 1.75 مليار نسمة. وهي لن تحضرها إلا إذا عقدت تحت رعاية منظمة التعاون الإسلامي.

في الوقت الذي تبذل فيه السعودية الجهود لمكافحة مظاهر التطرف والتشدد، وما ارتبط بها من إرهاب أدى إلى تفاقم ظاهرة الإسلاموفوبيا، اختار مهندس الإسلام السياسي، مهاتير محمد، أن يجمع حوله ثلاثة من أعتى الأنظمة الراعية للتطرف والإرهاب.

العلاقات المتوترة بين السعودية وقطر سببها رعاية دولة قطر وأميرها للإخوان المسلمين، ودعمها الإسلام السياسي بشقيه السني والشيعي.

ويمكن قراءة التغيب السعودي عن القمة، أيضا، بأن حضورها سيمنح شرعية للنظام الإيراني الذي لا يخفي طموحاته التوسعية في المنطقة. نفس الشيء ينطبق على تركيا.

من يشعل النار، لا يطفئها.

والأنظمة الثلاثة المذكورة هي من أشعل النار وتصنع البراءة، وتريد أن توهم الجميع، من خلال المشاركة في مؤتمر يدين الإرهاب، أنها جادة في إطفاء الحريق.

هل هناك حاجة للتذكير بالحرائق الإيرانية في دول الجوار، بدءا بلبنان، ومرورا بسوريا والعراق وصولا إلى اليمن. وبالقرصنة في مياه الخليج والاعتداء على محطات النفط في السعودية. وسعي آيات الله لامتلاك السلاح النووي لتهديد جيرانهم؟

الدعم القطري للتطرف والإرهاب، من خلال وسائل الإعلام وتقديم المساعدات المالية، هو الآخر لا يحتاج إلى إثبات.

في سلسلة جديدة من الفضائح، نشر موقع نورديك مونيتور، السويدي المتخصص في شؤون الاستخبارات، تقريرين أشار فيهما إلى أنّ وكالة الاستخبارات العسكرية الأميركية ذكرت في تقرير سرّي، بتاريخ يونيو 2016، أن تركيا وقطر دعمتا جبهة النصرة.

وكشفت التقرير التنسيق المتبادل بين المخابرات التركية والجماعات الإرهابية في سوريا، وركّز بشكل خاص على تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وعلى جبهة النصرة. وأشار تقرير موقع نورديك مونيتور إلى أن هذه الأخيرة حافظت على توريد المعدات وشبكة تسهيل قوية للحفاظ على الإمدادات والذخيرة وتدفقات الأسلحة. وكانت العلاقة الأوثق، حسب التقريرين بين تركيا وداعش.

وتؤكد الوثيقة ما جاء في تقرير سابق لأجهزة الاستخبارات الهولندية، كشف هو الآخر عن استخدام داعش أراضي داخل تركيا قاعدة لتدريب عناصره، وتحدث عن عبور الآلاف من عناصر داعش إلى سوريا وأوروبا.

الرئيس الماليزي "غاضب ومحبط"، وطالب قادة الدول الإسلامية بالعمل على تصحيح الآراء السلبية بشأن الإسلام، والتوصل إلى خطة منسقة لمواجهة الإسلاموفوبيا. كان الأجدر بمهاتير أن يوفر غضبه، ويكتفي بعدم المشاركة في إخراج مسرحية الهدف منها تضليل العالم.

حتى لو لم يكن هدف مهاتير ذلك، يبقى الهدف من القمة استهداف المملكة العربية السعودية، من خصومها الثلاثة في المنطقة، إيران وقطر وتركيا.. نأمل أن لا يكون رابعهم مهاتير محمد.

---

**ندوة**

# هشام جعيط: الكتابة التاريخية تعاني أزمة عالمية

تحتل المعرفة التاريخية مكانة متميزة في سلم المعارف الإنسانية، فهي بحق يمكن أن تحرر الإنسان من أوهامه وتصوراته المتعالية عن ذاته وحقب الماضي، بشرط أن تتميز بالموضوعية والمقاربة العلمية. ويعد المؤرخ التونسي هشام جعيّط من بين أسماء عربية قلة برعت في هذا الحقل، بتقديمها مادة تاريخية انحازت للطرح المنهجي والعلمي. وكان اللقاء التكريمي الذي احتضنته مؤسسة مؤمنون بلا حدود تحت عنوان "هشام جعيّط وراهن الفكر التّاريخي العربي"، فرصة ليكشف فيها المحتفى به عن رأيه في راهن الكتابة التاريخية عالميا وعربيا.

آمنة جبران

تونس - قدّم الباحث والمفكر التونسي هشام جعيّط تشخيصا لراهن الفكر التاريخي العربي، خلال لقاء تكريمي نظمته مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث وجمعيّة الدّراسات الفكريّة والاجتماعيّة ودار الكتب الوطنية بتونس.

ألقى جعيّط، الذي وصفته مديرة دار الكتب الوطنية والباحثة رجاء بن سلامة بـ"المفكر القلق الذي ينفر من الاختصاص الضيق والذي يبدي موقفه من الراهن من منطلق البحث في التاريخ"، محاضرة أتت على جملة من المحاور الكبرى في ما يخص دراسة التاريخ والمعرفة التاريخية في العالم العربي منذ القدم وإلى حدود الواقع الراهن.

ويرى المفكر التونسي أن هناك أزمة عالمية في كتابة التاريخ. ويشرح أسباب هذه الأزمة بقوله "الغرب اعتبر أنه أتم النظر في التاريخ الإنساني من تاريخ اليونان إلى حدود القرن العشرين".

أما بخصوص التاريخ العربي فالوضع أسوأ، على حد تعبيره، نظرا لوجود ضعف وتساهل مع كتابة التاريخ، مطالبا المفكرين العرب "أن يعملوا بجهد أكبر للتنقيب في هذا التاريخ".

ويقول "ما قام به المفكرون العرب نظرة ورؤية لماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم وهو ما يسمى في الفكر العربي المعاصر أو ما يسميه المفكر المغربي عبدالله العروي بالأيديولوجيا العربية". ويرى جعيّط أن "التاريخ علم قبل كل شيء.. ولو كان من علوم الثقافة، وهو متاح للمهتمين به المتمكنين من أدواته القائمة أساسا على التعامل مع الوقائع والمعطيات بشكل موضوعي دون تدخل للعامل الذاتي... لذلك فالتاريخ علم دقيق يقارب في دقته علوما صحيحة كالرياضيات".

ويستشهد في شرح كيفية التزام الكتابة التاريخية بالصرامة والعلمية بالعودة إلى تجربة دراسة التاريخ في الغرب. ويقول إن "المؤرخين الغربيين اهتموا بالتاريخ معتبرين أن التاريخ العلمي المنهجي من مكونات القرن التاسع عشر بألمانيا وفرنسا وكانت بدايته في القرن الثامن عشر في بريطانيا مع المؤرخ الإنجليزي إدوارد غيبون الذي قام بعمل تاريخي مهم جدا".

ويبين أن المنهجية التاريخية العلمية ظهرت في القرن التاسع عشر بالتحديد. وركزت على الاهتمام بكل المصادر المتعلقة بالكتابة التاريخية من الوثائق والمعطيات والكتابات القديمة سواء من خلال نقدها أو تعريضها للتدقيق والتفكيك، وقد شكلت "الأركيولوجيا" كعلم يتبنى منهجية الحفر والتقصي إضافة نوعية لفهم الحقائق التاريخية بعيدا عن القراءات التمجيدية والكتابات الاستشراقية المتحيزة، الأمر الذي مكن من بلوغ معرفة تاريخية علمية.

مستدركا "لكن في القرن العشرين اتسعت رؤى المؤرخين في فرنسا بالأساس مع ظهور مدارس في بريطانيا، أما اليوم فصارت الولايات المتحدة هي المركز الأساسي للكتابة التاريخية والعلوم السياسية والفكرية متجاوزة أوروبا التي كانت سباقة في هذا المجال خلال العصور الحديثة".

ورغم بروز مفكرين عرب انتهجوا المناهج العلمية الأوروبية الحديثة لكن كان هناك نقص وضعف كبير في كتابة التاريخ في العالم العربي، حسب جعيّط. واعتبر أنه لا بد من إعادة التفكير في كتابة التاريخ الحديث، كاشفا أن التفكير ليس بالضرورة أن يكون فلسفيا وإنما أن يصوغ المؤرخ ما كتبه وفق رؤية نقدية تمحيصية لجميع المصادر، بما في ذلك عند اعتماده على ما كتبه الإخباريون القدامى من اليونان أو الرومان أو العرب.

ويدعو جعيّط المؤرخين الشبان إلى ضرورة الانتباه واليقظة عند التعاطي مع المصادر التاريخية المتعلقة بالإسلام المبكر، خاصة ما جاء في "تاريخ الطبري" و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير وغيرهما من المراجع التي أرخت للمرحلة الأولى.

ويعتقد جعيط أن على المؤرخ الحديث أن تكون له من اتساع النظرة والمقاربة الموضوعية في الكتابة التاريخية الشيء الكثير، كما هو مطالب أن يكون ملما بالعديد من الثقافات والمعارف المختلفة مثل السوسيولوجيا والأنتروبولوجيا والفلسفة والهرمونيطيقا، مما يجعله يعيد كتابة "كل الأحداث التي كتبها الطبري بصياغة أخرى تشبه تلك التي دوّنها" في كتابه "الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر".

ولاحظ المفكر التونسي أنه منذ عودته إلى تونس بعد هجرة طويلة إلى الخارج وجد أن "كل التونسيين كتبوا حول التاريخ الوطني ولا توجد كتابة عن تاريخ الحضارة الإسلامية في قلبها وليس في الأطراف لأنه في الواقع نحن في الأطراف ليس في القلب".

مفكر استثنائي

وأشار جعيّط إلى أهمية الكتابات الاستشراقية، وما قدمته من إسهامات في مقاربة التاريخ الإسلامي رغم ما رافق ذلك من ثغرات وإسقاطات وتوجيه، قائلا بأن "المستشرقين قد اهتموا منذ القرن التاسع عشر بتاريخ الإسلام بصفته حضارة إنسانية كبيرة مثلما اهتموا بالحضارة الصينية والهندية والحضارات الكبرى في العالم، واهتموا من جهة أخرى بالدين الإسلامي لأن الضمير الأوروبي منذ القرون الوسطى اعتبر أن الدين الإسلامي عدوّ، لذلك اهتموا به أكثر من اهتماماهم بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي هنا وعندما انتقدتهم انتقدتهم من هذه الوجهة".

ويعد جعيّط من بين أهم المفكرين العرب الذين دعوا إلى التصدي والتحري في المقاربات الاستشراقية المتحاملة على الإسلام والمسلمين، خاصة تلك التي قدمها المجري غولدزيهر والأميركي جون مينارد وغيرهما.

وأردف جعيّط "أنا فخور أنه وُجدت مدرسة تاريخية تونسية اهتمت بالتاريخ الإسلامي في أوجه حضارته مثلما اهتم به جيلي، وكنت قد درست تلك الفترة التي شملت تاريخ مرحلة الجاهلية وصولا إلى الفترة الأموية". ويضيف بأن هناك مجموعة من المؤرخين في هذا الجيل وهم أساتذة في الجامعة لكنهم مجهولون لم يُعترف بمجهوداتهم في كتابة التاريخ الإسلامي ويجب الاعتراف بذلك مثل محمد حسن وغيره".

**جعيط يعتبر أن العالم العربي لم يعرف بعد أن أحسن مدرسة تاريخية في التونسية موجودة هي ما يخص التاريخ الإسلامي**

ويتابع "لم يعرف العالم العربي اليوم أن أحسن مدرسة تاريخية موجودة اليوم هي المدرسة التونسية في ما يخص التاريخ الإسلامي لأنها لم تهتم بالدين فقط بل اهتمت بالاقتصاد والسياسة والمجتمع وهي بذلك تقدم مقاربات أكثر موضوعية في تناول التاريخ الإسلامي". مشيرا إلى أن البعد الجغرافي ليس له علاقة بدراسة التاريخ.

ودعا جعيّط إلى "ضرورة نشر الكتب التونسية في الشرق لتلقى رواجا واعترافا هي جديرة بهما".

وركزت النقطة الأخيرة في محاضرة جعيّط على الفرق بين الفكر التاريخي وعلم التاريخ وفلسفة التاريخ. ودعا في نهاية المحاضرة المفكرين في تونس والعرب إلى ضرورة الاهتمام الواسع بكتابة ودراسة التاريخ الإسلامي لافتا إلى ضعف اهتمام الغرب اليوم بالتاريخ لأن الحاضر قد سيطر على نظرتهم. وعزا ذلك إلى تأثير الميديا ووسائل التواصل الاجتماعي على المجتمعات الأوروبية.

ويعترف بأن هناك تغييرا قويا وكبيرا في توجهات القارئ "تجعلنا نخشى على مستقبل الكتاب خاصة الكتاب العلمي المختص بالعلوم الإنسانية والاجتماعية على نطاق العالم، باستثناء الولايات المتحدة". ولخص الباحث في التاريخ نادر الحمامي الذي شارك في المحاضرة عبر مداخلة قدمت قراءة لكتابات جعيّط، في تصريحه لـ"العرب" الرسالة التي أراد أن يبعث بها جعيّط لعموم المفكرين بتونس والعالم العربي قائلا "أراد جعيّط التأكيد على أنّ الفكر العربي المعاصر قد عرف حراكا أيديولوجيا وفكريّا في فترات معيّنة، غير أنّ ذلك الحراك كان موجها أكثر إلى التفلسف والفكر بصورة عامّة، ولم يركّز كثيرا على التاريخ والمعرفة التاريخيّة كما تطوّرت في الغرب منذ بداية القرن التّاسع عشر. غير أنّ هذا الضعف في الفكر العربي المعاصر لم يمنع من وجود مؤرّخين عرب تأثّروا بالمناهج الحديثة، ومارسوا الكتابة التّاريخيّة من وجهة علميّة وفكريّة".

وحسب الحمامي "أشار جعيّط إلى ارتباط الكتابة التّاريخيّة العربيّة في العصر الحديث بفكرة الدولة الوطنيّة، ممّا جعل العرب يكتبون في التّاريخ الوطني لدول بعينها، دون الوعي بأنّ تلك الدّول كانت تمثّل مراكز حضارات بأكملها في القديم، ولا علاقة لذلك مثلا بين تاريخ العراق القديم باعتباره قلب الحضارات الكبرى، والعراق بصفته دولة وطنيّة".

وفسّر دعوته بضرورة التمييز بين الفكر التّاريخي وعلم التّاريخ وفلسفة التّاريخ قائلا "إنّ الفكر التّاريخي ينفتح على الاهتمام بقضايا بعينها اجتماعيّا وثقافيّا، من وجهة التّناسق بين الوعي الفردي والحقيقة الموضوعيّة، مع عدم الالتزام ضرورة بصرامة المنهج التّاريخي، وهذا اختلاف جوهريّ مع علم التّاريخ الذي يفترض الدّقّة العلميّة والمنهجيّة في عرض الأحداث وقراءتها. أمّا فلسفة التّاريخ فهي دراسة الأسس النّظرية للممارسات والتّطبيقات والتّغيّرات الاجتماعيّة التي حدثت على مدى التّاريخ، وهي تهتمّ بمعنى التّاريخ وقوانينه واتّجاهاته".

وختمت الباحثة التونسية رجاء بن سلامة، المداخلات بالتعليق على محاضرة المفكر التونسي هشام جعيّط التي رأت أن أهم نقطة وردت فيها هي اعترافه "بوجود مدرسة تاريخية تونسية قائمة الذات، ما يفسر الإقبال الكبير على كتب التاريخ التونسية في المشرق العربي ودول الخليج".